تقرير

شوقي عشقوتي

حروب أوكرانيا وغزّة وإيران "صدّعت" العلاقات مع واشنطن "صحوة أوروبيّة" ونزعة نحو "إستقلاليّة استراتيجيّة"

يواجه الاتحاد الاوروبي تحديات واوضاعا هي الاصعب والاسوأ منذ قيامه، وتمر العلاقات الاوروبية ـ الاميركية بمرحلة دقيقة وازمة ثقة واعادة صياغة، في وقت تستمر الشراكة التاريخية بين ضفتي الاطلسي بالتعرض لاختبارات متلاحقة وغير مسبوقة... في الخلاصة، تجد اوروبا نفسها امام حتمية مراجعة استراتيجيتها واخذ قرارات صعبة ومكلفة وجريئة

في الاطار العالمي الجديد الذي يتشكل، يبرز تراجع دور ووزن طرف دولي شريك اساسي في القطب او الحلف الغربي في النظام الدولي الذي انتهى بشكل تدريجي، وهو الاتحاد الاوروبي. الطرف الذي كان يشكل نموذجا للتعاون الاقليمي المتعدد الابعاد والاهداف ولو انه ما زال الاكثر تقدما في هذا المجال.

الاتحاد الاوروبي والذي اعتبر عن حق النموذج الذي يفترض الاقتداء به في التعاون او التكامل الاقليمي التدريجي المتعدد الابعاد والاهداف، صار اليوم يعاني من العديد من التحديات الداخلية والخارجية المترابطة والمتداخلة. تحديات تساهم في اضعاف، والبعض يقول في تهميش دوره، على الصعيدين الداخلي التكاملي والخارجي الاستراتيجي، فيما يتعلق بقدرة التأثير بالأحداث والتطورات التي تهم الامن الاوروبي، بمختلف اوجه، في لحظة تبلور النظام العالمي الجديد.

اسباب عدة تقف وراء تراجع وزن ودور الاتحاد الاوروبي على الصعيد العالمي. من هذه الاسباب ما يعيده البعض الى التوسع السريع بضم الدول الاوروبية التي ولدت سياسيا من جديد الى الاتحاد، بعد سقوط وانهيار الحلف الشرقي بقيادة موسكو السوفيتية والتكلفة الكبيرة خاصة على الصعيد الاقتصادي في تلك العملية رغم اهميتها السياسية.

البعض الاخر يرجع ذلك ايضا الى بروز عوائق موضوعية من وطنية تعكس اولويات مختلفة في السياسة والاقتصاد والدفاع والمال والامن، قد تعبر عن رؤية مختلفة ناتجة من تطورات رئيسية على الصعيد الوطني عند هذه الدولة او تلك، رغم التفاهم على الاسس الاستراتيجية في عملية البناء الاوروبي.

من الامور السلبية ايضا، الازمة في "البيت الغربي" بين اوروبا والولايات المتحدة خاصة في ظل ادارة الرئيس ترامب وعقيدة الاحادية الحادة التي تطبع سياساته واولوياته الدولية على حساب بلورة التفاهم خاصة في الامور الاستراتيجية في البيت الاطلسي. أبرز مثال على ذلك، الشعور الاوروبي بخيبة الامل من الولايات المتحدة في ما يتعلق بالأزمة الاوكرانية التي تحظى بأولوية استراتيجية في أوروبا، واعتبار كثير من الاوروبيين ان واشنطن تعقد تفاهمات مع موسكو في هذا المجال على حساب حلفائها في "البيت الغربي". واشنطن من جهتها تتهم اوروبا بعدم الوقوف معها كما يفترض بالحليف الاستراتيجي من حيث الدور وتوظيف الامكانات والمواقف، في الحرب مع ايران.

يرى الخبراء ان العلاقات الاميركية - الاوروبية تمر بمرحلة صياغة جديدة، تقوم على اسس من الواقعية السياسية والمصالح المباشرة، بدلا من التحالفات التقليدية الموروثة منذ الحرب العالمية الثانية، فيما يبقى التحدي المرحلي الاكبر للأوروبيين متمثلا في مدى جدية الطرف الاميركي في الالتزام ببنود التفاهمات، اذ تظل الهواجس قائمة بشأن امكانية تبدل مواقف ترامب من دون مقدمات.

أدرك الاوروبيون متأخرين ان النموذج الذي اعتمدوه منذ نهاية الحرب الباردة قد انهار، وان عالما تشكل من وراء ظهرهم، فالولايات المتحدة لم تعد من يقدم لهم ضمانات بلا مقابل، ولا الصين تمنحهم الافادة من سوقها من دون متطلبات سياسية، ولا روسيا بقيت شريكا طبيعيا كما كانوا يعتقدون. الامر مس جوهر المشروع الاوروبي القائم على فرضية "ان الترابط البنيوي يحد من الصراعات"، ليجد الاوروبيون أنفسهم في عالم يحكمه منطق القوة والمصالح. وجاء هذا متزامنا مع صدمة اقتصادية قاسية اوردها تقرير في سنة 2024 للرئيس السابق للبنك المركزي الاوروبي ماريو دراغي، عن مستقبل القدرة التنافسية الاوروبية، حين دق جرس الانذار ليكشف عن تراجع القدرة التنافسية الاوروبية مقارنة بواشنطن والصين، وارتفاع تكاليف الطاقة الصناعية وخسارتها موقعها في القطاعات التكنولوجية والطاقة النظيفة. ثم جاءت اجراءات الحماية الاميركية (الرسوم الجمركية) لتزيد الضغط ضغطا، وبدت اوروبا تدير سباقها مع العملاقين الاميركي والصيني بأدوات قديمة مصممة لعصر انقضى كان اقل تنافسية وأكثر هدوءا، في حين تتقدم الولايات المتحدة بسياسات صناعية واسعة النطاق وتضخ الصين استثمارات هائلة... يدور في اوروبا ما يمكن تسميته "نقاش وجودي" حول ما اذا كان الاتحاد الاوروبي قادرا على التصرف كقوة استراتيجية عالمية يحسب لها حساب، ام سيبقى اطارا تنسيقيا موسعا؟ الاجابة لم تتضح بعد، لكن ما يبدو مؤكدا ان زمن الخمول الاستراتيجي قد ولى، ولم يعد بإمكان الاعتماد على المظلة الاميركية ولا الافادة غير المشروطة من السوق الصينية ولا ادارة الانقسامات الداخلية بالنسق البيروقراطي القائم.

عمليا، تقف اوروبا اليوم امام اختبار تاريخي يشبه اللحظة التأسيسية التي اعقبت الحرب العالمية الثانية، فاذا نجحت في تحويل أزمتها الحالية الى فرصة لاعادة بناء قوتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية والمؤسساتية، عندها يمكن ان تتحول الى قطب دولي ينتصب الى جانب الولايات المتحدة والصين وتفاوضهما من موقع الند للند. اما إذا اخفقت في ذلك فإنها ستجد نفسها ساحة تتقاطع فوقها مصالح القوتين الكبيرتين وستدفع الأكلاف وتتحمل الضغوط وسيرسم الآخرون المستقبل، فيما هي تتفرج عليهم.

يعيش حلف شمال الاطلسي (الناتو) واحدة من أكثر المراحل حساسية في تاريخه، مع تزايد احتمال انسحاب الولايات المتحدة منه إذا اقدم الرئيس الاميركي دونالد ترامب على تنفيذ تهديداته المتكررة. فخطوة كهذه، ان تحققت، لن تفضي الى مجرد تغير في توازنات الحلف، بل قد تمثل زلزالا يضرب اساس البنية الامنية الغربية التي اسست بعد الحرب العالمية الثانية واستمرت طوال الحرب الباردة وحتى ما بعدها.

بالنسبة الى العديد من المسؤولين الاوروبيين، فان المطلب الاميركي بدعم حرب يرونها اختيارية ومشكوكا فيها قانونيا، يمثل سوء فهم جذريا

> **اوروبا اليوم امام لحظة تأسيسية تشبه لحظة ما بعد الحرب العالمية الثانية**

لهدف التحالف؟ ويدرك الاوروبيون انهم مقبلون على مرحلة مربكة وصعبة، لكن السؤال الذي يفرض نفسه هو: ممَ تخاف اوروبا فعلا؟

يتجلى القلق الاوروبي في اربعة مسارات رئيسية:

- الخوف من استمرار الحرب الروسية ـ الأوكرانية، وما يعنيه من استنزاف اقتصادي وعسكري طويل الامد.

- الخوف من تسوية غير متوازنة تفرض على اوكرانيا وتقتطع من اراضيها من دون ضمانات امنية حقيقية.

- الخوف من معادلة المقايضة: القبول بالقضم الروسي للأراضي الاوكرانية مقابل الحفاظ على وحدة الاتحاد الاوروبي وامنه الداخلي.

- الخوف من صعود اليمين المتطرف والقوميات داخل القارة، بما يهدد وحدة القرار الاوروبي ويفتح الباب امام مزيد من النفوذ الاميركي او الروسي من داخل اوروبا نفسها.

في 2026، يواجه الاتحاد الاوروبي مزيجا معقدا من: انقسامات داخلية متزايدة، وضعف في البنية الدفاعية، ازمات اقتصادية مزمنة، وضغوط خارجية تبدأ من الحرب الاوكرانية ولا تنتهي عند السياسات الاميركية الجديدة.

تحاول اوروبا، في مواجهة هذا المشهد القاتم، تعزيز مرونتها وتقليص مخاطرها. تتجه نحو تنويع شراكاتها، تسريع بناء قدراتها الاقتصادية والامنية الذاتية، في ظل إدراك متزايد ان الولايات المتحدة لم تعد راغبة في تحمل اعباء العالم.

يتقدم داخل الاتحاد نقاش جدي في "الاستقلال الذاتي الاستراتيجي"، اي القدرة على حماية المصالح الاوروبية من دون ارتهان كامل للمظلة الاميركية. لكن هذا المسار يصطدم بتحديات مالية وعسكرية وسياسية، وبشروط اميركية واضحة: على اوروبا ان تدفع أكثر للدفاع عن نفسها، والا فلن تدفع واشنطن عنها.

وكان الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون، منذ وصوله الى قصر الاليزيه ربيع عام 2017، سباقا في الدعوة الى "الاستقلالية الاستراتيجية" لاوروبا عن الولايات المتحدة الاميركية. وباستثناء بعض الاصوات الاوروبية الضعيفة التي تفهمت دعوته، فان اكثرية الدول الاوروبية الاعضاء في الاتحاد الاوروبي عبرت عن مواقف "فاترة"، ان لم تكن متحفظة. ◄

ثمة سببان رئيسيان لذلك: الاول، ان اوروبا عاشت، منذ انتهاء الحرب العالمية، تحت المظلة الاميركية - الاطلسية. وحتى اليوم، لم تعثر على بديل منها لحماية نفسها في عالم يتسم بالخطورة. والآخر، ان الاتحاد الاوروبي، رغم الجهود الذي بذلها في السنوات الاخيرة لتعزيز قدراته الدفاعية وصناعاته العسكرية، ما زال يعاني الضعف عسكريا.

المهم اليوم ان 4 دول اوروبية رئيسية (فرنسا وبريطانيا والمانيا وبولندا) اصبحت مقتنعة بالحاجة الى دفاع اوروبي قوي رغم انها كانت (باستثناء فرنسا) من الاقرب الى واشنطن، وبالتالي للحلف الاطلسي. لكنها قررت اليوم السير بمشروع تعزيز الدفاع الأوروبي، خصوصا انه لم يعد يعني التخلي عن "الاطلسي" بل العمل اما داخله واما الى جانبه.

ما يريده المروجون لـ"الناتو الاوروبي" تمكين القارة القديمة من الدفاع عن نفسها في حال فتر الالتزام الاميركي بالمادة الخامسة من شرعية الحلف، او ان تكون واشنطن قد ركزت اهتماماتها بالدرجة الاولى على المنافسة الحامية التي تواجهها من الصين.

رغم هذه الانعطافة الاوروبية باتجاه تعزيز الدفاع الذاتي، فان الكثير من المتابعين لهذه المسألة يرون انه مشروع للمدى البعيد، اذ ان العديد من الدول الاوروبية التي تستشعر أكثر من غيرها التهديدات الروسية لا تريد الابتعاد قيد انملة عن الحلف الاطلسي، وعلى رأسها دول بحر البلطيق ورومانيا... وكان لافتا ان دولتين اوروبيتين (السويد وفنلندا) رفضتا دوما الانضمام الى الحلف الغربي تحولتا الى دولتين اطلسيتين.

"العلاقات الاميركية - الاوروبية تمر بمرحلة "اعادة صياغة"

ويحذر تقرير اوروبي من ان الفصول الاخيرة التي شهدتها العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي، وضعت هذا الاخير على شفا حال من التبعية امام الرئيس الاميركي الذي يستغل مواطن الضعف لدى الدول الاعضاء، ولا يفوت فرصة كي يسعى من خلالها الى اذلال الاتحاد. الامثلة على ذلك تتراكم يوما بعد يوم: الضغط على الدول الاعضاء في الحلف لزيادة الانفاق العسكري الى نسبة 5 في المئة من اجمالي الناتج القومي، بعد ان كانت 2 في المئة، والاتفاق التجاري الذي يمنح واشنطن فرض رسوم جمركية على البضائع والسلع الاوروبية من غير مقابل، واستبعاد القادة الاوروبيين من المشاركة في المفاوضات حول الحرب الاوكرانية، ثم مؤخرا المفاخرة بأن الولايات المتحدة تجني ارباحا طائلة من بيع السلاح للاوروبيين الذين يرسلونه الى كييف. يشدد واضعو التقرير على ان قادة البلدان الاعضاء يجب ان يتخلوا نهائيا عن استراتيجية التملق، والتهدئة، والتودد في التعامل مع الرئيس الاميركي، وان يعتمدوا سياسة الثقة بالنفس والتزام المبادئ والقيم المؤسسة للاتحاد.

لكن التقرير يحذر ايضا من ان المطلوب ليس خوض معركة ضد دونالد ترامب، واحراق جسور العلاقة التاريخية مع واشنطن. فالدول الاوروبية، من غير استثناء، تعتمد بنسبة عالية على الولايات المتحدة، خاصة في عدد من المجالات الحساسة مثل الدفاع والتكنولوجيا المتطورة، وليس واضحا بعد ان المياه بعد ترامب ستعود الى مجاريها، لا بل ان الوضع قد يتجه نحو الاسوأ في حال وصول فانس الى البيت الابيض.

ويدق التقرير ناقوس الخطر منبها على ان الرهان يكاد يكون مصيريا، لأنه سيحدد موقع اوروبا في عالم لا يتوقف دونالد ترامب عن تغيير قواعده وفرض نظرته على القريب والبعيد، بغض النظر عن الاواصر والمصالح التاريخية. كما ان واشنطن تسعى منذ فترة الى التدخل في الانتخابات الاوروبية، كما تبين مؤخرا في المانيا ورومانيا وبولندا، والى اعادة تشكيل العلاقات الاطلسية بهدف ارسائها على قيم يمينية محافظة، والتذرع بحرية الرأي لانتقاد الطوق الذي تفرضه القوى الديمقراطية في الاتحاد الاوروبي حول القوى اليمينية المتطرفة لمنع وصولها الى الحكم.

يلاحظ التقرير كيف ان التيار الترمبي يستغل مواطن الضعف في الاتحاد الاوروبي، حيث ينقسم القادة الاوروبيون حول عدد من القضايا الاساسية، فيما تتسع دائرة الاوساط الشعبية الاوروبية المؤيدة لمواقف الرئيس الاميركي. لكن يشدد واضعو التقرير على ان استطلاعات الراي تؤكد رسوخ مشاعر الانتماء الاوروبي الى مشروع واحد، ورؤية مستقبلية وقيم مشتركة، ويحضون قادة الاتحاد على التجاوب مع هذه المشاعر والاستناد اليها لتغيير المسار، واستعادة مفاهيم السيادة والقومية والوطنية التي يدعي اليمين المتطرف حصرية الدفاع عنها.

البان المنارة
MANARA DAIRY
Abou Ghnaim Dairy Farm
www.manaradairy.com

الطعمة الأصيلة لعند باب البيت
خلال 24 ساعة.
من قلب البقاع الغربي، تقدّم لكم ألبان المنارة منتجات ألبان طازجة تُحضّر يومياً من حليب طبيعي 100%، من دون مواد حافظة وخالية من الغلوتين، لتمنحكم مذاقاً أصيلاً وجودةً تثقون بها.

- إنتاج يومي طازج
- توصيل حتى باب المنزل
- رسم التوصيل: $2
- توصيل مجاني للطلبات التي تزيد عن $35

من اللبنة والأجبان إلى اللبن والعيران، تُصنع منتجاتنا يومياً بعناية وتصل إليكم مباشرة من المصدر، لتحافظ على نضارتها وقيمتها الغذائية وطعمها الأصيل.

للطلبات والاستفسارات:
+961 76 436 954
@Manara_dairy
Al Manara Dairy